الحركة الفكرية

في الكويت نهضة فكرية وان تكن ابتدائيـة الا انها مباركة تبشر بخير عميم يرعاها سمو الامير ويقبل عليها الشباب الجديد .

وفي الكويت قليل من العلمـاء والمثقفين لان النهضة حـديثة العهد . والعلوم المعروفة هي علوم الدين وما يتبعها من العلوم العربية من نحو ولغـة وصرف وادب وسيرة وتاريخ . . . يتدارسها طلبة العلم والعلماء في حلقـات خاصة واشهر علمـاء الكويت يوسف بن عيسى الجناعي .

الادب : وقد نشأت طبقة جديدة من الشباب المثقف ثقافة عصرية اخذت تعني بالادب ومطالعة الكتب الحديثة . التي تصدر في الوطن العربي وخاصة في سورية والعراق ومصر . وتـدرس امهات كتب الادب العربي القديم وتتصل بالحركة الفكريـة في الاقطـار الشقيقة بواسطـة الصحف والمجلات والروادي .

وتـكاد تنحصر الحركة الادبية في الكويت اليوم على « الديوانيـات » اي «الصالونات» حيث يجتمع بعض الادباء فيتدارسون كتب الادب ويتناشدون الشعر ويعرض كل واحد ما انتجه فكره من نثر وما أملاه قلبه من شعر فيطير الى كل مكان وتنشده كل شفة ولسان .

وقد نشأت هذه الديوانيات على انقاض « النادي الادبي » الذي كان موجوداً منذ عدة سنوات وكانت تلقى فيه المحـاضرات ويفوح منه الادب العطر . واشهر هذه الديوانيات ديوانية الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي وتختص ديوانيته بالفقه وعلوم الدين والعربية . وديوانية عبد الله ملا صالح رئيس الديوان الاميري وهو رجل لطيف حسن الثقافة وتختص ديوانيته بالادب القديم وعلوم العربية. وديوانية عبـد الله زكريا الانصاري وهو شاب مهذب اديب له شعر ونثر . وديوانية خالد

المسلم وهو شاب مثقف درس في العراق وتختص هاتان الديوانيتان بالادب الحديث وقلما يصدر كتاب ادب في سورية او العراق او مصر الا ويكون لدي شبان هذه الديوانيات عنه خبر يقين .

وفي الكويت نهضة ادبية طيبة يقوم بها نفر من الادباء والشعراء المجيدين الذين لا يقلون في القيمة الادبيـة عن الادباء المتوسطين في سوريـة والعراق ومصر واشهرهم الاساتذة والسادة : خالد محمد الفرج ، وصقر سالم سبيب ، وعبد اللطيف ابراهيم نصف ، وفهد العسكر ، وحجي قاسم آل حجي ، واحمد بن خالد المشاري ، واحمد بشر الرومي ، وعبد الله زكريا الانصاري ؛ ولهؤلاء شعر عال ونثر راق .

وكانت تصدر في الكويت منذ بضع عشر عاماً مجلة اسمها « الكويت » وكان يحررها المرحوم عبد العزيز الرشيد صاحب كتاب « تاريخ الكويت » وكانت مسرحاً لاقلام الكتاب ولهثات الشعراء وافكار المصلحين .

وقد اقترحت على القوم انشاء مطبعة وجريدة ولعل ذلك يتحقق قريباً .

واليك على سبيل المثال بعض القطع الشعرية الجميلة لاشهر ادباء الكويت — مقتبسة من الجزء الاول من كتاب « تاريخ الكويت » للمرحوم عبد العزيز الرشيد طبع بغداد سنة ١٩٢٦ — :

نظم الشاعر المبدع عبد اللطيف بن ابراهيم آل نصف قصيدة ممتعة اهداها الى أسد الريف الامير عبد الكريم البطل المشهور ابان ثورته على الاسبان وانتصاره عليهم .

وهي من عيون الشعر لا في الكويت فقط بل في الوطن العربي الاكبر بل هي قصيدة جديرة ان تعد من مفاخر الادب الحديث لروحها الوثابة ولهجتها الصادقة واسلوبها المتين . وانت اذا لم تقرأ اسم ناظمها حسبتها للشاعر السوري المشهور بدوي الجبل . قال من هذه القصيدة :

ارى الشرق بالاغلال يرسف باكياً على حين بات الغرب جذلان يبسم
حنانيكم يا ساسة الغرب حسبكم فيا طالما قد جرتم وظلمتم
مهلاً لا تسومون الصغار فاننا ولا فخر من جربتم وخبرتم

ملكنا فواسيناكم بنفوسنا فهلا فعلتم مثل ذا اذا ملكتم
تخلوا عن الريف العزيز لاهله وعودوا الى اوطانكم فهو أسلم
حمى الريف ابطال المعامع عنكم وأسد جياع في الجبال تهمهم

ثم يشير الشاعر الى اشتراك الفرنسيين مع الاسبان في مقاتلة العرب المسلمين ابطال الريف والمدافعين عن حياتهم وحقوقهم وحرياتهم وعن عزة العروبة وكرامة الاسلام وما لاقى الفرنسيون من اخواننا الاسود من أهوال قال :

فصبراً حماة السين صبراً على الردى ولا تجزعوا مما شربتم وذقتم

ثم يلتفت الى المجاهد الكبير عبد الكريم فيخاطبه بقوله :

طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً وذكرتهم ايام طارق فيهم
صدمتهم وسط الملاحم صدمة فكم بعدها ثكلى ترن وترزم
فلله يوم منك قد شهد العدا حساماً جلاه الله لا يتثلم

ثم يصف إقرار الاسبان والفرنسيين ببطولته فيقول :

فقد علمت مدريد انك فاتح وقد شهدت باريس انك ضيغم
فضع فيهم السيف الذي انت حامل وعلمهم فى الحرب ما لم يعلموا
تقدمت لا تثنيك عما ترومه مدافع يرتاع اردى حين تهزم
فمرحى لليث العرب مرحى ومثلها ثلاث يؤديها اليراع المقوم

وانا حينما اقرأ هذه الابيات الخالدات كقطع ادبية نفيسة والخالدات اكثر في موضوعهن القومي السامي يخيل لي ان قائلها لنس عبد اللطيف بل البحتري في سلاسة تركيبه وجمال تصويره ونبل مشاعره ، او المتنبي في ابائه وعلو نفسه ومتانة شعره ، اولا يذكرك قوله :

طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً ... قول البحتري يصف موكب المتوكل :

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما خرجت من الصفوف وكبروا

ثم حين تصل الى قوله :

صدمتهم وسط الملاحم صدمة ... الا تتذكر قول المتنبي يصف سيف الدولة منتصراً في المعركة :

نـثرتهم فوق الاحيدب كلهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم ما أشبه قوله :

تقدمت لا يثنيك عما ترومه مدافع يرتاع الردى حين تهزم

يقول البحتري يصف منازلة المتوكل للاسد :

حملت عليه السيف لاعزمك اثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

والخلاصة فهذه القصيدة خالدة يحق للكويت ان تفاخر بها وبقائلها :

وهناك الشاعر المجيد صقر بن سالم شبيب ؛ ويعد شاعر الكويت وله شعر جيد نقتطف منه هذه القطعة الجميلة التي يحض فيها قومه على الوئام والاتحاد قال :

أتنعم في الكويت ونحن فيـه عراق تحت سكين الجهالة
تفرقنـا الجهالة حيث شـاءت وتفعل ما تريـد بنا البطـالة
احـذركم بني قومي انشعـابا لهلك الشعب فيـه شر آله
وهل شعب ينـال بلا اتحـاد لديـه من تقدمـه كماله
ففي حسن الوئـام لنـا رقي لنور جبينـه تعنو الغزالـه
وقـد حث الاله على اتفـاق تضيء دجى الخطوب له ذياله

ومن شعراء الكويت المجيدين خالد محمد الفرج ، قال عن الحق والقوة بيتين خالدين جميلين :

اما الحقوق فلا تنـال بحجـة الا بحجة مـدفـع وقواضب
ومتى غـدا طلابها مستضعفـاً بسلاحه فالحق حق الغـاصب

وهناك الشاعر حجي بن قاسم آل حجي وهو رجل مجدد متحرر يكره الرياء ويحارب العمائم التي تخفي تحتها الجهل . يقول من قصيدة طويلة :

أضر بالنـاس قوم يـدعون بالعلمـاء
تـدرعوا بثيـاب ثيـاب أهـل الرياء
سيكشف الصبح ماقد أخفيـتم بالمسـاء
نحن الشبـاب رياح وأنـتم كالهباء
تيـارنـا آخـذ في تمزيقكم في الفضاء

ومن المعلوم ان الادب هو صورة الحياة الاجتماعية . وعلى ذلك نقول ان الكويتيين تنبهوا الى ان الدين ليس عمة وجبة ولحية بل عقيدة وعمل واخلاص ومن اجمل ما رأيت من شعر حجي مساجلة لطيفة بينه وبين السيد حسن النقيب وقد كتب حجي الاسطر الاولى فشطرها النقيب :

نسيم الصبح يشجيني إذا هب واشجيه
ويقتلني ويصبيني صدود منه يبديه
ويوهمني ويغريني بلفظ الدل والتيه
ويطعمني ويسقيني لذيذ الخمر من فيه
اغازله فيقصيني وعن الدل يثنيه
ويضعفني ويسبيني فتور من مآقيه
اواصله فيجفوني ويغضبني فأرضيه
غرام كاد يخفيني عن العذال اخفيه

وهي قصيدة طويلة رشيقة وجميلة وهي من ارق الغزل في الكويت ، وهي اذا كانت تدل على شاعرية حجي فهي تدل بالوقت نفسه على شاعرية النقيب حتى جاءت القصيدة محكمة كل الاحكام كأن قائلها شاعر واحد .

وهناك الشاعر احمد بن خالد المشاري وله شعر حسن ولهجة صادقة واخلاص في الطلب ، انظر الى قصيدته الطيبة التي يمدح فيها سمو الامير ، فهو لا يكتفي بمدح سموه فحسب وانما يغتنم الفرصة للمطالبة بالاصلاح ، يصارح الامير بأماني الشباب وآمال البلاد ، قال من قصيدة له :

فيا اميزاً له في الفضل سابقة اليك أرسل آمالا وأزجيها
يا أحمد من سما في كل مكرمة وكل محمدة في الفضل حاديها
حاشا لمثلك أن يركن الى دعة وغفلة عن نفوس أنت واليها
هذي رعاياك فوضى لا اجتماع لها ولا سراة لها للرشد تهديها
فاجمع لها شتتاً وانهض بها امماً فلفتة بانعطاف منك تحييها
هذي الشبيبة شبح الجهل يفزعها وأنت مأمنها إذ انت حاميها

هذب مداركها عضد مدارسها وارحم طفولتها إذ أنت راعيها
أكثر معارفها أبعد مشاغبها نقح معاهدها واسمع شكاويها
هذا رجاها بكف من تضرعها فاعطف بفضلك وابلغها امانيها

وهذه القصيدة صرخة من صرخات الاصلاح في الكويت ورجاء يقدمه الشباب النير الى الامير المحبوب ، والشاعر هنا يصف امراض الكويت من جهل وتفرق وفوضى ثم يطلب لها الاصلاح من الامير . وقد لبى سمو الامير الطلب، وقام ببعض الاصلاح .

ولا عيب في هذه القصيدة إلا تسكين (يركن) من الشطر الاول من البيت الثالث وكان حقها النصب ولا يشفع بهذه الغلطة الا متانة الاسلوب ونبل المعنى .

ولا ادري اذا كان المشاري في قصيدته هذه استهدف مدح الامير فجاءت مطالبه عرضاً أم أنه استهدف الاصلاح وجاء المدح عرضاً ، على أنه وفق في الغرضين كل التوفيق .

وأجمل ما في القصيدة ، بل من ألطف ما قيل في مدح الامير قوله :

فلفتة بانعطاف منك تحييها ... فما اعظم هذا الامير الذي يحيي امة بعطف من جيده .

وإذا أردنا أن نعود الى الحب والغزل والى اشعار العشاق وقصائد المغرمين ألفينا بين شعراء الكويت غزليين بارعين وقصائد تذوب رقة ، ولا غرو فان أبرع ما قيل وما يقال من الشعر هو ما كان في الغزل لان الحب هو اصدق العواطف وأقواها وأسماها .

والشاعر حينما يتغزل لا يريد جاهاً ولا مالا وإنما نظرة من العيون الساحرة وابتسامة من الثغر المعطر .

وقد ذكرت لك قصيدة حجي البديعة ، والآن اعرض لك ابياتاً قليلة لطيفة لمساعد بن عبد الله الرفاعي قال :

يا من شفاء سقامي شم رياها ومن مدامي زلال من ثناياها
ومن هي الشمس وجهاً والجبين لها يحكي الهلال وعين العين عيناها

الله يكلأ هيفـاء بليت بهـا عشقاً وعين إله العرش ترعاها
النفس طالبة وصل التي عشقت والعين راغبـة رؤيا محياهـا

ساعدك الله يامساعد السقيم الذي يشفيك ثم رؤيا فتـاتك ، وكان يقتضي أن تقول في الشطر الثاني من البيت الرابـع « رؤية » بدل رؤيا ، لان الرؤيـة للنظر والثانية للحلم وأنت رغم بلواك وسقمك تدعو الله ان يكلأ هيفـاءك التي بليت بها فهنيئاً لك بهذا البلاء ، ويا ليت كل بلوى كبلواك وأنا بليت مثلك ايضاً وأدعو الله أن يحفظ لك هيفاءك وأن يحفظ لكل محب هيفاءه .

ولا أنسى في هذا الباب كبير ادباء الكويت الشيخ عبد الله السالم ولي العهـد ، وهو رجل عالم فاضل وأديب كبير له باع طويل في النقد والادب ، في النثر والشعر كما لا أنسى من الادباء السيد عبد الحميد الصانع عضو مجلس المعارف .

وعلى الجملة ففي الكويت نهضة أدبية مباركة وشعراء مجيدون وحبـذا لو تصدر في الكويت جريـدة أو مجلة تكون مرآة لهـذه الافكار الطيبة والادب الرفيـع ومسرحاً لاقـلام الادباء ولهثات الشعراء ومطـالب المصلحين . وأنصح الكويتيين أن يطـالعوا باستمرار المؤلفـات والمجلات والجرائد السوريـة التي تعد مفخرة الفكر العربي .

المعارف : النهضة الثقافية في الكويت سائرة الى الامام ولكن بخطى بطيئة . وقد شعرت الكويت منذ بضع سنوات بما للثقافة من أثر في تقدم البلاد فارادت أن تقوم بنهضة ثقافية فأوفدت بعثات من الطـلاب الى العراق يدرسون في مدارسها وخاصة في دار المعلمين الريفية .

وقد حدثني بعض الاساتـذة السوريين الذين كانوا يـدرسون في العراق ان الطلبة الكويتيين كانوا يمتازون بالجد والذكاء والخلق .

وقد استقدمت الكويت بعثة من المعلمين من سورية الجنوبية — فلسطين — أدت للكويت خلال ثلاث سنوات خـدمات جلى مشكورة ، ثم استقدمت بعثتين ثقافيتين من سورية ومصر . وأخيراً استقدمت بعثة مصرية .

والبرامج التدريسية في الكويت برامج عراقية وهي موافقة للكويت اكثر من

البرامج السورية والمصرية . وتكاد تنحصر نهضة الكويت بالمدارس . وفي المدينة اربع مدارس ابتدائية وواحدة متوسطة للبنين وثلاث مدارس ابتدائية للبنات تشرف عليها وتدرس فيها معلمات سوريات . وفي القرى الكبيرة مدارس اولية بسيطة .

ولا يزيد عددالتلامذة في الامارة كلها على الالفين أي بقدر طلاب مدرسة واحدة من مدارس دمشق . ومع ذلك فللمعارف رئيس ومدير ومستشار ومفتشون ورؤساء تعليم ومديرون ومعلمون .

ويتألف مجلس المعارف من كبار القوم واعضاء طيبين ذوي غيرة على شؤون المعارف وعلى نهضة البلاد وعلى تنشئة الجيل الجديد . وهم وايم الحق مخلصون يعملون بنشاط وبدون مقابل لرفع المستوى الثقافي في الكويت وقد ساعدونا على أداء رسالتنا الثقافية ، وهؤلاء السادة هم :

الشيخ عبد الله الجابر الرئيس ، ونصف اليوسف ، وعبد الله الزيد ، وعبد الحميد الصانع ، ويوسف بن عيسى القناعي ، وعبد المحسن الخرافي اعضاء .

والحقيقة ان هذا التعقيد في جهاز المعارف مما يعرقل تقدمها اذ لالزوم لمفتشين بوجود مدير المعارف لقلة المدارس ، كما أنه يجب ان يؤلف مجلس فني للنظر في البرامج والدروس الخ ... من المتخصصين في التربية والتعليم من كويتيين وغير كويتيين من العرب فقط تعرض مقرراته على رئيس المعارف للمصادقة عليها . ويجب ان تقتصر مهمة مجلس المعارف على الشؤون الادارية والمالية ، وعلى مراقبة الاتجاهات العامة . ويجب الغاء منصب المستشار الذي نشر مقالا في مجلة في البحرين — التي هو رئيس معارف فيها — قال فيها ان الغاية من التعليم هي اخراج موظفين ، وهذه هي الفكرة الاستعمارية التي كنا نحاربها نحن السوريين وكنا نصرح ونقول ونعمل باعتبار ان الغاية من التعليم هي انشاء جيل عربي جديد قوي في جسمه وفكره وعقيدته وخلقه جدير بأن يرجع المجد السالف ويحقق النهضة والوحدة والحرية والاستقلال لعموم اجزاء الوطن العربي

الاكبر ليحتل العرب مكانتهم العليا بين الامم . هـذه غايتنـا من التعليم باحضرة المستشار . وقد كان هذا التباين في خطتنا القومية التقدمية نحن السوريين وبـين وجود المستشار الانكليزي وخطته سبباً من جملة الاسباب التي دعتنا الى رفض تجديد العقود مع حكومة الكويت والعودة الى سورية .

وللكويت اليوم بعثات من عشرات الطلبة تدرس في العراق وسورية ومصر دراسة ثانوية وعالية . ويوجد في مدارس الحكومة السورية طالب واحد يدرس على نفقة وزارة الخارجية .

وهناك بضعة طلاب يدرسون على نفقتهم الخاصة في مدارس اهلية بدمشق واني انصح الكويتيين ان يرسلوا ابناءهم الى مدارس الحكومة لانها اكثر نظاماً وعلماً وادباً ، والح في الطلب بضرورة اخراج هؤلاء الطـلاب الكويتيين من مـدارس دمشق الاهلية لانهم سوف لايستفيدون كما ينبغي ونخشى ان يكون وجودهم في هذه المدارس دعاية غير طيبة لسورية .

وجدير بالذكر ان هؤلاء التلامذة أتوا لسورية للدراسة بناء على اشارتنا وعلى الدعاية التي كنا نقوم بها للثقافة السورية في الكويت ونعتـبر وجودهم في دمشق نجاحاً لرسالتنا . وهناك بعض الطلاب الكويتيين في بيروت يـدرسون بالجامعـة الاميركية . ولابد لي من اعادة القول ان على الحكومة السورية ان تفتح مدارسها مجاناً امام التلامذة الكويتيين .

ذهبنا الى الكويت فماذا فعلنا ؟ ادخلنا التعـديلات اللازمه على البرامج واوجدنا نظماً جديدة تناسب النهضة التي اردناها . وقمنا بالاصلاحات الواسعة وعنينـا بالدرجـة الاولى بالقرآن الكريم وبالدين ثم بالتاريخ والعربية والرياضة البدنية لاننا نريد جيلا قوياً في جسمه وخلقه وفكره واسسنا ملعباً رياضياً وانشأنا فرقـاً للالعـاب الاولمبيـة وكرة القـدم وكرة السلة والكـرة الطـائرة وكـرة الطاولة ونظمنا بين هذه الفرق مباريات عديدة وجعلنا الانتساب الى الفرق الرياضية اجبارياً حتى على أولاد الامراء . وقد رسب بعض الطلاب لعدم اتقانهم الرياضة . وانشأنا فرقاً كشفية واقمنا مخيمات ونظمنا

السوريون في الكويت :

للطلبة والرياضيين والكشافة رحلات وجولات واستعراضات ومخيمات . واقمنا في نهاية العام مهرجاناً رياضياً كبيراً اشترك فيه خمسمائة تلميذ واجريت فيه المسابقات الرياضية والالعاب الاولمبية والتدريبات الاستعراضية والتمارين السويدية واشتركت في المهرجان فرق الاشبال . وقد حضر هذا المهرجان الكبير الامراء وكبار القوم وآلاف الناس والمعتمد البريطاني ووزعت فيه جوائز قيمة ومداليات وأوسمة . كان هؤلاء المئات من التلامذة يسيرون بانتظام بالاستعراض بألبستهم الرياضية البيضاء والسوداء تموج فوق رؤوسهم الاعلام البيضاء والحمراء والخضراء والسوداء التي تشكل بمجموعها الراية العربية المفداة بين هتاف وتصفيق الجماهير .

وألفنا في المدارس لجاناً عديدة لتنمية ملكات التلامذة وتوجيه استعداداتهم، للخطابة والادب والرحلات والحفلات والشؤون الاسلامية والفنون الجميلة من تصوير وتمثيل وصناعة .

وقد اقامت لجان الادب والخطابة والشؤون الاسلامية عدة حفلات ومحاضرات ومباريات ناجحة القيت فيها خطب وقصائد وكلمات طيبة من المعلمين والتلامذة . واقامت لجان الفنون الجميلة معرضاً جميلا لمصنوعات المدرسية زاره ايضاً الامراء والوجهاء وآلاف الناس والمعتمد البريطاني واعجبوا بما عرض فيه من مناضد ومكاتب وبروانات وصواني ومقاعد واطارات وعلب مجوهرات من الصدف وتحف من الصدف المنحوت المنقوش وصور متقنة وخرائط واعلام وطرائف لطيفة من مراكب وسفن صغيرة من الخشب والورق كانت غاية في الاتقان مع ازهار واثمار وورد ونقوش لطيفة مختلفة وكانت السفينة الجميلة التي صنعها التلميذ يوسف آل رومي والنقوش البديعة التي خطتها ريشته مثار اعجاب الزائرين . وأسسنا للتلامذة مجلة مدرسية يحررونها بانفسهم ، وقد بذلنا جهداً كبيراً لتأسيس ناد للمعارف وقد كلفت بوضع قانونه الاساسي ونظامه الداخلي وقد فعلت ولكني غادرت الكويت قبل ان يظهر النادي الى الوجود .

واقامت لجان التمثيل عدة حفلات تمثيلية مدرسية ، وحفلة تمثيلية كبرى عامة في نهاية العام حضرها الامراء ووجوه القوم بالمئات وكانت في غاية الاتقان وموضع

التقدير . كما اقمنا عدة حفلات عامة بمناسبات شتى كانت تزينها الاعلام العربية ، ومما يجدر ذكره ان هذه الالحان والفرق ساعدت على انماء مواهب الطلاب واظهرت فيهم ذكاء ومرونة وقابلية للانطباع .

اما فيما يتعلق بالدروس فقد اعطى التلامذة نتائج باهرة حقاً وكانوا يقبلون على التعلم بشوق كبير وقد زاد عدد التلامذة ثمانين في المائة عن العام المنصرم وذلك خلال عام واحد . وقد اوجدنا نظام المطالعة الاباية الاختيارية فكان اقبال المعلمين والتلامذة عليها عظيماً ، ولا شك انه كان لمساعدة المعلمين الكويتيين لنا في اصلاحاتنا اثر طيب في الحصول على هذه النتائج الباهرة .

ومن الواجب علي ان اقول هنا ان المعلمين الكويتيين نشيطون اذكياء يحبون العمل ولا ينتقدون . وقد كانوا يتبرعون بالعمل عدة ساعات مجاناً علاوة على اوقات الدوام الرسمي .

وهذه النتائج الطيبة لم تأت عبثاً لاننا كنا نعمل اضعاف مايطلب منا . كنا نعمل نحن السوريين عشر ساعات في اليوم واحياناً اكثر على حين اننا كنا مكلفين بالعمل رسمياً خمس ساعات فقط . لقد أتينا الي الكويت جنوداً متطوعين مجاهدين في سبيل النهضة ولم نكن مرتزقة . ونحن لم تجذبنا الدنانير القليلة التي كنا نتقاضاها والتي ما كانت تتناسب في شيء مع جهودنا التي لاتقدر بثمن . لقد جذبتنا العقيدة والاخوة والواجب . وما كان يخفف عنا متاعبنا الا راحة ضمائرنا . لقد كنا دعاة نهضة وفكرة لاموظفين ، نقوم بعملنا ليس كما أذاعته الحكومة ولكن كما يأمر به الواجب .

ولاريب ان عطف الاخوان الكويتيين وخاصة سمو الامير ومجلس المعارف والمعلمين الكويتيين وما وجدناه من آباء التلامذة ومن التلامذة أنفسهم من رغبة في النهضة ، كل ذلك شحذ عزائمنا وكان له أثر في التقدم الملموس الذي صارت اليه معارف الكويت . ولا أدل على انشراح الكويتيين للنظم التي أوجدناها من عبارات التقدير التي كنا نسمعها دوماً في كل مكان . وقد الفت من اكثرهم سماع هذه الجملة . هؤلاء أولادك . طبق عليهم النظام . كما تريد . وكان بعضهم يقول لي:

« م أولادك ولك ان تخوض في دمهم حتى الركب » ولم أسمع ذلك من العامة فقط بل من السيد نصف اليوسف عضو المعارف ومن الشيخ عبد الله الجابر رئيس المعارف . حفظ الله لكم أولادكم ايها الكويتيون فما أردت الا تهذيبهم وتربيتهم. وكم كنت اضحك حينما أسمع ان التلامذة ابنة أخي . وانا لم اتجاوز الثالثة والعشرين وحديث العهد جداً بالتلمذة وبين التلاميذ من هم في العشرين . كنت اضحك واقول بل هم اخواني .

ونحن السوريين لافضل لنا ولا فخر في ماقدمنا للكويت من خدمات لاننا كنا نقوم بالواجب لانريد جزاء ولا شكوراً . كما أن اخواتنا المعلمات السوريات قمن بنهضة طيبة في التربية والتعليم وفي وضع نواة النهضة النسائية في مدارس البنات . وقد افردنا لهن جناحاً خاصاً من المعرض عرضن فيه صناعاتهن وصناعات تلامذتهن من تطريز ووشي وتزيين على وجوه أسرة وشراشف واثواب نسائية غاية في الجمال والاتقان مما اشتهرت به الدمشقيات .

يالله ! ماأنبل السوريين ـ والفلسطينيون منهم ـ هم في كل مكان دعاة النهضة والرقي ورسل الخير والاخوة : وهم حيثما ذهبوا يخدمون باخلاص وبكل قواهم ويتركون احسن الاثر واطيب سمعه . ليس في الكويت فقط بل في العراق ونجد واليمن والبحرين ومصر وفي كل مكان لانهم يمتازون بالعقيدة والجلد والاخلاص

يالله ماأنبل السوري . أنا ما كنت أدري انه نبيل ونشيط الا عندما غادرت سورية . كنت اسمع عن السوريين مدحاً عاطراً فكنت اعزو ذلك الى العصبة الوطنية . ولكن حينما بلوت السوريين خارج سورية عرفت اية ميزة يرتع بها السوري في الوطنيه والاخلاص والثقافة والخلق . انا لاأقول ذلك مدحاً لنفسي وانما اعترافاً للسوريين بالفضل وكان كل الاخوان خيراً مني .

اقمت سنة في الكويت مع اخواني السوريين الذين ما كنت اعرفهم من قبل لسوء الحظ . وأيم الحق لقد كنت معجباً بهم غاية الاعجاب . لقد كانوا اخواناً ولنعم الاخوان . لقد خبرتهم بالسفر والمال والجوار فكانوا موضع اعجابي ويكفي ان

اذكر اقامتي مع صديقي الاستاذ كامل بنفسلي سنة كاملة في دار واحدة . يشهد الله مارأيت منه الا ماسرني .

ليس غريباً ان تسير الحياة على هذا المنوال من الوئام فيما لو كنا اخوة اواصدقاء قدماء ولكن الغريب انني ماتعرفت الى هـذا الرجل المخلص الا في هـذه الرحلة . خلق نبيل . سماحة وثقافة وجد . لقـد ترك زوجتـه واطفـاله في دمشق وترك وظيفته في مدرسة من أرقى مدارس دمشق لاتبعد عن داره اكثر من مائتي متر وهو من اقدر المعلمين لم يجاوز الثلاثين من العمر ؟ لماذا ؟ هل تظن ايها القاريء ان ان الدنانير الثمانية عشر استهوته او استهوتني انا لمجاز في الحقوق الذي عرضت علي وظائف كبيرة منها القضاء فأبيتها ؟ هل تظن ان هذه الدنانير استهوتنا لنترك الاهل والوطن الى الصحراء ؟ لا وأيم الحق . ولكنه الواجب القومي. لم نسأل عن المال ولم نستفد مادياً ويكفي انا أدينا الرساله بأمانة واخلاص .

واما صديقي الدكتور يحيى الحديدي فهو شاب شهم وطـني متحمس خفيف الروح حاضر النكتة متين العزم كريم وقد بالغ في اكرامنا . لقد كان لنـا أخـاً كبيراً . ولم تذهب تسميته عبثاً فهو حديدي الارادة . وكذلك الدكتور صلاح الدين ابو الذهب فهو شاب هادىء لين العريكة نشيط وكان لنا أخاً وفيـاً . ولم تذهب تسميته عبثاً فأخلاقه من ذهب . كما ان صديقي الاستـاذ كامل لم تـذهب تسميته عبثـاً لانـه كامل [١] . كان من المستحيل ان يمر يوم دون ان نلتقي وغالباً مانقضي الامسي اللطيفة على سطح دارنا امام البحر نشرب الشاي ونقتنص النكات الحلوة التي يمتاز بها الحديدي والبقسلي . وكانت دارنا خالية من النسـاء وكانت نائية في قلب البحر يحفها الماء من اطرافها الثلاثة وهي شبه منعزلة عن بقية

---

[١] كما ان الاستاذين حيدر مصطفى وعبد العزيز ملص كانا مثـال الوفاء والخلق وقد توفي الاول فجأة في صيف سنة ٩٤٣ واما الثاني فقـد استشهـد في حوادث دمشق ٢٩ ايار سنة ٩٤٥ رحمهما الله تعالى .

البيوت يوصل اليها بطريق خاص مبني في البحر لذلك كنا نتمتع بكامل الحرية في الضحك والغنـاء .

رباه ! ماأجمل هاتيك الامسيات . لن تزول من مخيلتي ولن تمحي من فكري. وخاصة أمسيات الخريف . كنا نقعد جميعاً في الاصيل نتمتع بمنظر الخليج الاخاذ، يبدو البحر في هذا الوقت أزرق صـافي الزرقة حـتى اذ مالت الشمس الى المغيب ارسلت على البحر عموداً من نور ولايزال هذا العمود يكبر حـتى يضحي البحر سبيكة من الفضة الذائبة بل قطعة من الماس المتموج المتلألىء يعشي الابصار حقيقة لامجازاً . ثم تميل الشمس ويختفي نصفها خلف خصل السحاب . وحينما لايبقى بين الشمس وبين الغروب الا نصف ساعة تبدأ الالوان الجذابة في الغيوم وتتـلون في كل دقيقة بألوان جديدة فبينما هي زرقاء اذا هي بنفسجية اذا هي ورديـة فحمراء فذهبية وبما ان حركة الغيوم لاتنقطع وبمـا ان مبـلان الشمس للافق لايتوقف كذلك لاتثبت الالوان على حال وكلما تقدم الزمن دقائق أعطتـك الغيوم والخليج الوانا ومناظر اكثر جمالا وروعة . كنا نقعد لننظر الى هذه اللوحات الفنية الخلابة التي لم تصورها ريشة فنان وانما صورتها يد الله المبدعة . سبحانه ما اعجب صنعه . كنا نقعد على كراسي البحر لانتكلم ونحن مأخوذون بهذا الحسن . الخليج محدود الجوانب تظهر من بعيد اطياف الجبال الصغيرة تخفيها الغيوم . والسماء مشحونـة بقطع السحاب من كل لون وشكل هنا قطعة حمراء قانية قربها هالة صفراء برتقالية تتبعها قطعة بنفسجية غامقة تنبعث منها اشعة الشمس البيضاء بشكل حزم مخروطيـة وهناك بقعة وردية فاتحة تزينها زرقة صافية وهناك سبيكة من الذهب تحيط بهـا غيوم متهبة بلون النار تحصر بينها قطعة لا تعرف لونها بين احمر وبنفسجي ومذهب مخططة بألوان فاتنة كأنها ثوب من الحرير .

السماء كلها تبدو بهذا الشكل وتتغير فيغدو الاحمر مذهباً والفضي بنفسجياً . . . أجل السماء كلها تبدو لوحة زيتية فاتنة ؛ ولو وقفُ الجمال عند هذا الحد لما اجتذب قلوبنا ولكن هذه المشاهد والالوان التي نراها في السماء كانت بنفسهـا تنعكس على صفحة الخليج فيغدو البحر قطعة فنية أروع وأجمل . الموج هادىء والريح ساكنة

والجو لطيف والبحر تارة قطعة من الذهب او النار وتارة بساط من البنفسج والورد بل هو يجمع كل هذه في آن واحد . رباه . ماهذا الجمال . لم أر اجمل من هذه المشاهد .وما كنا نتكلم الا بالاعجاب والتسبيح.وكان يزيد المنظر جمالاهذه السفن الشراعية التي تمخر البحر بهدوء وترتفع اشرعتها في السماء وكانت تعكس صورها في الماء فيبدو الشراع شراعين والسفينة سفينتين وكأنما كل سفينة فراشة ملونة جناح في الهواء وجناح في الماء . نظل هكذا قاعدين ننظر باعجاب وسرور نحو ساعة الىأنتغيب الشمس وراء الافق وتأخذ الالوان بالاكمداد فينقلب الاصفر الى احمر والازرق الى بنفسجي والمذهب الى ناري ثم تكمد هذه الالوان ويكمد معها البحر فيكثر لون البنفسج ثم يصير ضارباً الى السواد ويزول البياض والفضي والمورد ثم الناري الاحمر حتى يقبل الليل ويحبينا الظلام ويختفي البحر وتطلع النجوم . واذ ذاك يأتينا الخادم بالسراج او ننتظر القمر حتى يطلع اذا كنا في موسم القمر .

لاتظن ايها القاريء الكريم ان هذه القطعة الفنية واللوحة التصويرية التي وصفتها لك هي من نسج خيال أديب او من تصورات شاعر وانما هي حقيقة واقعة ؟ وما كنت أحسب نفسي في هاتيك الامسيات الجميلة الا ملكا في السماء او ريشة في لوحة .

اما الليالي فكنا نقضيها اما في دار الدكتور الحديدي او في دار الدكتور ابو الذهب نسمع الرادي ونتذكر ايام دمشق ، وكنا في كل يوم جمعة على الغالب نذهب معاً للنزهة خارج المدينة في البر او في نزهه بحرية في الجالبوت اوفي رحلة بحرية قصيرة لصيد السمك . نذهب ونجدف بانفسنا وابو الذهب يدير الدفة وانا اضرب البحر بالمجذاف والبنقسلي يعاونني ويلقي النكات والحديدي يضحك ويقول : يالله ياشباب . ثم نقف في عرض البحر ويأتي الفراش عبد المحسن فيصب لنا الشاي الساخن ثم نبدأ بصيد السمك ونلقيه بأرض الزورق ونحن مغمورون بالغبطة ونعود بعد الغروب الى الشاطيء .

هكذا كنا نحن السوريين فهل تعجب بعد ذلك اذا قلت ان السوريين

والعراقيين هم صفوة العرب ؟!! وليس في الكويت من التجار السوريين الا واحد وهو الشاب الدمشقي النشيط السيد عبد الرزاق القدومي وهو موفق في عمله ولله الحمد . وفي الكويت ساعاتي ومصور سوريان ، ومطعم يقال انه سوري ولكنه لايمت الى سورية بسبب . وحبذا لو يذهب اخواننا السوريون الى الكويت ليفتحوا فيها صالات للحلاقة الحديثة ومقاهي ومطاعم ومعامل للحلويات والسكاكر والمعجنات والمآكل الدمشقية المشهورة مما يلقى في الكويت اقبالا كبيراً وكذلك لابأس ان يذهب بعض الخياطين والحذائين و . .

واقول بهذه المناسبة انه يجدر بالكويتيين ان يصطافوا في سورية ـ ولبنان جبل في سورية ـ فسورية جميلة وصحية وهادئة وعامرة . فيها غير الصحة والجمال فيها خلق واخوة وعروبة واسلام . ويجب ان لايصطاف الكويتيون بايران التي لاتربطها بهم غير المطامع الاستعمارية . وعلى الحكومة السورية ان تسهل للكويتيين سبل الاصطياف ومعاملات السفر التي يشكون كثيراً من صعوبتها .

وأخيراً اريد ان اقول ان مدارس الكويت اليوم أصبحت تشابه مدارس سورية والعراق من حيث النظام والدروس وبناء المدارس اجمالا . وان كانت تنقصها بعض الادوات ووسائل الايضاح والثقافة الفنية عند المعلمين .

والكويت بحاجة الى اخصائيين وفنيين من اطباء ومهندسين ومعلمين وحقوقيين وسوف لا يمر إن شاء الله بضعة اعوام حتى نري بين الكويتيين ماذكرت ، فكل من سار على الدرب وصل .

وإني ملء الثقة بسمو الامير بان يضاعف البعثات الذاهبة للتعلم والدراسة والتخصص وان يوسع حركة المدارس . ولا شك ان هذه النهضة الثقافية مدينة بوجودها الى سموه مما يسطره له التاريخ باحرف من نور .

وإنني ألفت نظر الاخوان الكويتيين وخاصة منهم التجار والاغنياء الى أن لا يطلبوا من الحكومة ان تفعل كل شيء ، بل عليهم ان يساهموا في نهضة البلاد بمساعدة المعارف مادياً ومعنوياً ، وهم لم يقصروا في ذلك . يجب ان يوفدوا بعثات ثقافية الى سورية والعراق ومصر تدرس ليس على نفقة الحكومة فقط بل على

نفقاتهم هم . عليهم أن يرسلوا ابناءهم وغير ابنائهم من التلامذة اللامعين الاذكياء ليدرسوا الطب والحقوق والهندسة والفقه والادب والتربية ... فالكويت اليوم ليست بحاجه الى تجار بقدر ما هي بحاجة الى مثقفين ورجال اختصاص . وأنا ضامن بان الكويت إذا وسعت خطواتها في هذه النهضة الطيبة فسوف لا يأتي زمن طويل حتى تكون لؤلؤة الجزيرة العربية وعروس الخليج بلا منازع — من الناحية الادبية على الاقل — وأنا احب ان ارى الكويت ترسل بعثات من عندها للصحة والتعليم الى نجد وقطر والبحرين وعمان ...

وفي مدارس دمشق اليوم بضعة طلاب كويتيين . وأحب أن انصح القوم في الكويت بان لا يرسلوا ابناءهم الى المدارس الاهلية في سورية بل الى مدارس الحكومة لانها تمتاز على المدارس الاهلية بالعلم والخلق والنظام .